ضوء جديد على زمن تأليف جمهرة أشعار العرب

بقلم الدكتور : سليمان الشطي
كلية الآداب ـ جامعة الكويت

برزت أهمية المختارات الشعرية مبكرا ، فتوقد الإحساس بها عند الجيل الأول من الكاتبين العرب؛ وانتبهوا إلى الحاجة للانتقاء والاصطفاء من بين النماذج الشعرية الكثيرة التي جمعها الرواد العلماء والرواة ، حينما دقت رماحهم أرض الجزيرة العربية ، فنفضوا رمال ثقافتها خدمة لهذه الحضارة العربية الإسلامية الناهضة ، فامتدت أصابع أيد كثيرة تدون الكلمة الشعرية ، تخطفها خطفا من بين أفواه الرواة .

وكانت هذه الجهود تقوم بعملية جمع وتوثيق لتخدم غاية متسعة الأرجاء ، فلم تكن الكلمة العربية ـ والشعرية بتحديد أخص ـ أحادية الهدف ؛ فمداها يتسع ليشمل الدين والدنيا : تشريع ، لغة ، فلسفة ، تعليم ، دون أن ننسى الغاية الثقافية العامة بجانب الثقافة الفنية . وتحت هذه تندرج فروع لا حصر لها .

ولما كان الجمع يخدم هذه الاغراض كلها فقد حرصوا كل الحرص على أن يشمل كل ما يمكن تحصيله ، مع محاولة التمييز تبعا للظروف الموضوعية ، فكما انه شمل كل ما تقع عليه اليد فإنه قد ينحصر ، تصنيفا ، في جمع شعر شاعر واحد أو مجموعة من الشعراء ، أو شعر قبيلة من القبائل وهكذا .

ولكن هذا الحرص الشّديد من جانبهم على الجمع لا يعني أنهم قصّدوا الاستقصاء أو زعموه ، فقد أدركوا استحالة هذا ، فابن سلاّم يشير إلى أنه سيذكر المشهورين المعروفين « إذ كان لايحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب . . . فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب[1] » .

والرأي نفسه يذكره ابن قتيبة مفصلا : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم[2] » .

لا شك ان هذا الجهد العلمي المبذول لجمع كل ما يمكن جمعه قد رافقه نظر فاحص لهذه النصوص ، فالتوثيق يمثل مقدمة حيوية لعمليات أخرى قائمة على التذوق والانتقاء الذي يميز بضاعة الحامل له وعلمه وذوقه ، لذلك كان لا بدّ من استثمار هذا الجهد . وأبرز صور هذا الاستثمار هو هذا الاختيار المحدد الهدف علميا وتربويا وفنيا .

ويساعد على هذا مجموعة من الأسباب ، أبرزها أن الاختيار القائم على الدراية والتذوق يُسَهِّل الأمرَ للمتعلمين وأهل الفن وطالبي الثقافة كي يصلوا إلى القصائد المتميزة التي يعسر الوصول إليها في الدواوين أو المجاميع . فليس كل القارئين قادرين أو راغبين في قراءة كلّ ما نظم الشعراء ، فحسبهم هذه المختارات ، أو النماذج المتميزة التي يحسن ، بل يجب الاطلاع عليها . وهذا الأمر يحتاج إلى عالم متمكن يحسن الاختيار فيجتمع الأحسن والأبرز والأشهر بين دفتي كتاب مجموع . . . من المؤكد أن الاختيار القائم على التذوق والعلم أقدم من النصوص المكتوبة والمحفوظة ، وما بين أيدينا من أخبار تشير إلى أن العرب الأولين ميزوا بين القصائد واختاروا وأطلقوا على اختياراتهم أسماء كثيرة ، ولعل أشهر تلك الإشارات

١ ـ طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣

٢ ـ الشعر والشعراء : ١ / ٦٠

ما ذكر من تعليق المعلقات ، أو على الأقل اختيار وتمييز تلك القصائد السبع المشهورات ، فنحن وإنْ لم نذهب بحماسة وراء فكرة التعليق ، فإن الرأي الآخر الراجح يعطي النتيجة نفسها ؛ ونعني هنا الرأي القائل إنَّ حماد الراوية اختارها وسماها بالقصائد المشهورات[٣] . .

ويسبق هذا ما ذكر من أن معاوية أمر الرواة أن ينتخبوا قصائد يرويها ابنه ، فاختاروا له اثنتي عشرة قصيدة . . الخ[٤] . وهناك أخبار أخرى حول هذا الموضوع تفيد المعنى نفسه . وليس بخاف على أحد قصة تأليف المفضليات والأصمعيات بَلْه الحماسة .

وقد اشتهرت هذه المختارات حتى غطَّتْ على كتب الأصول الأولى ـ بل جنت عليها أحيانا ـ حين اكتفى أكثر القارئين والدارسين بها . وقد أعطت هذه المختارات العلماء والشعراء المختارين اسما بارزا ، فتابعهم كثيرون قلَّدوا وأحسنوا . .

* * * *

(جمهرة أشعر العرب) أحد كتب المختارات التي برزت واشتهرت ، وقد زاد من أهميتها أنها شاركت المجموعات التي سبقتها في بعض حسناتها ، وتفردت بأمور خاصة بها ، فهي ـ بجانب احتوائها على بعض من أهم القصائد وأشهرها ـ قد اشتملت كذلك على أمور منها :

أولا : ـ خالف المختارين السابقين في أن مؤلفها لم يكتف باختياراته فقط ، ولكنه قدَّم لها بمقدمة مسهبة ، وحفلت هذه المقدمة بالكثير من الموضوعات المهمة ، فتحدث فيها عن الشعر ونقده وبعض الموضوعات المتعلقة به . وأفرد بعد ذلك جانبا خصصه للحديث عن أهم الشعراء الذين اختار لهم ، وخاصة رجال الطبقة الأولى ، فأشار إلى بعض أخبارهم مع ترجمة لهم .

---

٣ ـ انظر هذا الرأي في كتاب (شرح القصائد التسع المشهورات) لابن النحاس : ٢/ ٦٨٢ .

٤ ـ انظر الخبر كاملا حيث يعدد القصائد المختارة في كتاب (المنثور والمنظوم) لابن طيفور : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر . ص ٤٠ .

ثانيا : ـ قسم كتابه تقسيما خاصا ، فوزعت القصائد في مجموعات سبع ، كل مجموعة ضمت سبع قصائد فكان المجموع تسعا وأربعين قصيدة مبوبة ـ وقد اختار لكلّ قسم اسما معينا : السموط ـ المجمهرات ـ المنتقيات ـ المذهبات ـ المراثي ـ المشوبات ـ الملحمات .

ولم يكن مؤلف هذا الكتاب أول سابق لمثل هذه التقسيمات ، فقد كانت حماسة أبي تمام مقسمة إلى أقسام مسماة ، ولكن أبا تمام التزم بالتقسيمات المتعارف عليها : حماسة ـ أدب الخ ، أي حسب موضوعات الباب . أما صاحب الجمهرة فقد اختار نظاما خاصا ، وإنْ جاءت بعض أقسامه متطابقة مع المألوف ، المراثي مثلا ، فإن الغالب على نظامه السباعي ابتكار الأسماء ، وبعضها واضح سببه والآخر يحتاج إلى بعض العناء في إيجاد تفسير له .

ثالثا : ـ رافق هذه النصوص المختارة شرح لأبياتها ، وهو دور لم يقم به ، من قبل ، المختارون ، إنما تولاه الشراح . وقد يدل هذا على أن صاحب الجمهرة ينتمي إلى الجيل الثاني من العلماء الذين اهتموا بالشرح والتفسير ، ولم يكتفوا بالجمع والاختيار فقط .

ومن الواضح أنه اختار طريقة المفضل والأصمعي في إيراده للنصوص كاملة ، وإنْ لم يكن يملك الدقة والحرص العلمي فقد تساهل كثيرا حتى تضخمت بعض القصائد عنده ودخلتها أبيات يُشَكُّ في صحتها أو صحة نسبتها .

كل هذا ـ وغيره أيضا ـ أعطى الجمهرة مكانة خاصة ومتميزة ، وإذا كانت المختارات الأخرى اكتسبت أهميتها من ذاتها ، وزاد حظوتها مكانة مختاريها والثقة بهم ، فالمفضل يشبع ثقة العالم ، وأبو تمام يثير فينا تقدير الذوق ؛ فإن الجمهرة فقدت هذا الشرف ، واكتسبت أهميتها من ذاتها فقط . فمنذ زمن قديم وستار

ظلمة يحيط باسم صاحبها المنسوبة إليه ، وتاريخها الذي ألفت فيه . فقد بقي هذان الجانبان حائرين : مَنْ صاحبها ؟ ومتى جُمعت ؟ .

وتبعثرت إجابات كثيرة ، لا نعتقد أنها استطاعت أن تزيل من هذه الظلمة شيئا مهما ، وإنْ كانت أنوارا تساعد على إماطة بعض طيات اللثام علّه ينكشف .

وبقي لنا ، بعذ ذلك أنْ نحاول ، لعل في هذا الضوء الذي نلقيه على زمن هذه المختارات بعض الفائدة .

فلنحاول أنْ نحدد ، بشيء من الدقة ، الزمن الذي كتبت فيه هذه اعتمادا على أدلة واضحة لا قرائن عامة قد تكون عرضة للتشكيك ، كما هو حاصل بالنسبة للآراء التي عرضها بعض الدارسين الموفقين .

إن الشيء المؤكد أن تحديد زمن الكتابة بدقة يساعد على الوصول إلى صاحبها ، إنْ كان لاسمه مكان في احدى الزوايا المهملة ، ولن يتم هذا إلا إذا انحصر البحث في إطار زمني ضيق .

من الواضح أن الغموض الذي أحاطَ بشخصية مؤلف الجمهرة ـ أبو زيد القرشي ـ أشاع الاضطراب حول تحديد زمنه ، فبعضهم ذهب به الوهم إلى تقديم عصره فسلكه ضمن رجالات القرن الثاني ، فالرافعي في كتابه آداب اللغة العربية يذكر أنه توفي في سنة ١٧٠ هـ[٥] ، بينما يذكرجرجي زيدان أنه نبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة[٦] . ويدفع بروكلمان التاريخ أماما فيرى أنّ الجمهرة قد جُمعت في أواخر القرن الثالث الهجري ، وأنّ تأليف الكتاب تمّ في « ملتقى القرنين الثالث والرابع »[٧] . ويرى الدكتور شوقي ضيف « أنه يتضح من مقدمة كتابه وما نقله عن

٥ ـ ٣/ ٣٤٦ ، وانظر كذلك معجم سركيس : ١/ ٣١٣ ، وواضح أن سبب هذا الوهم هو ما ورد في المقدمة حين قال : فمن ذلك ما حدثنا المفضل بن محمد الضبي . . الخ ص١ .

٦ ـ تاريخ آداب اللغة العربية : ٢/ ١٢٥ .

٧ ـ تاريخ الأدب العربي : ١/ ٧٥ .

الرواة أنّ بينه وبين رواة القرن الثاني جيلين أو ثلاثة ، فالوسائط بينه وبينهم في السَّنَدِ غير بعيدة ، لذلك نظن أنه كان يعيش في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ، وقد ذكره ابن رشيق المتوفى سنة ٤٦٣ للهجرة في كتابه العمدة »[٨] وهذا هو ما ذهب إليه بلاشير ، معتمدا على ما رواه المفضل ، فالإسناد يشير إلى أن صاحب الجمهرة حدَّث عن « سنيد بن محمد الأزدي عن ابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ » وعلى إسناد آخر هو « حدَّث أبو زيد القرشي عن محمد بن عثمان الجعفري عن عبد الرحمن بن محمد بن الهيثم بن عدي المتوفى سنة ٢٠٦ »[٩] .

ومعنى هذا أن بينه وابن الاعرابي جيلا واحدا ، وبينه والهيثم بن عدي جيلين .

ويشير الدكتور ناصر الدين الأسد عددا من النقاط المهمة حول شخصية صاحب الجمهرة . أما زمنه فيرى ما رآه سابقوه من أنَّ صاحب الجمهرة من رجال القرن الخامس الهجري لأنه أشار إلى صحاح الجوهري عند شرحه لقصيدة الفرزدق ،[١٠] ويعني بها قوله :

ترى النـاس ما سِرْنـا يسيـرون خَلْفنا وإن نحـن أوْمأنـا إلى النَّـاس وقَّفـوا

ويروى : وانْ نحن أوبأنا ـ بمعنى أومأنا ـ من الصحاح[١١] ـ وقد ذكر كذلك إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الفارابي صاحب كتاب « ديوان الأدب » ، قال في معرض شرحه لبيت مُتَمِّم بن نُويره :

فَعيْنـيَّ جُودا بالدمـوع لمـالك إذا أذْرَتْ الـريحُ الـكنيفَ المُنَزَّعا

الكنيف : حظيرة تجعل للإبل ـ من ديوان الأدب[١٢] .

---

٨ ـ العصر الجاهلي : ١٧٨ .

٩ ـ تاريخ الأدب العربي : ١/١٥٢ .

١٠ ـ مصادر الشعر الجاهلي : ٥٨٤ ـ ٥٨٨ .

١١ ـ جمهرة أشعار العرب : ص ٨٧٧ ، وديوان الفرزدق : ٢/٥٦٧ .

١٢ ـ المصدر السابق : ٧٤٤ ـ ٧٤٥ .

ويرى الباحث أنه من الممكن أن يكون نسبه منحدراً عن زيد بن الخطاب العدوي أخي عمر بن الخطاب ، فهو عدوي الأصل أو أموي النسب[١٣] .

إن الذي لا شك فيه هو أن هناك ظلالا كثيفة تحجب صاحب هذه المجموعة وعصره ، إلا أنه لا يزال هناك مَعين من القول لا ينضب ، وسيستمر ما دام الجهد مبذولا والمحاولة مستمرة ، لذلك سنثبت ما عثرنا عليه لعله يلامس الصواب أو يصيبه .

أرى أنَّ التاريخ الذي أثبته بعض الباحثين وبالذات مصطفى جواد هو الأقرب إلى نفسي . فهو ينتمي إلى الربع الأخير من القرن الرابع الهجري ، وقد يكون من رجال القرن الخامس ، ودليلي ليس ما جاء به هذا الباحث ، مع أن قوله سيصبح قرينة معقولة ومقبولة ، ولكن على أساس آخر سأبسطه في السطور القادمة إن شاء الله .

إذا احتكمنا إلى سنده فسنجده يقودنا إلى أنه كان يعيش في نهاية القرن الثالث حقًا ، فإذا كان بينه وابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ تمتدّ سلسلة تشمل المُفَضَّل وأباه وجدَّه ثم ابن اسحاق[١٤] ، وبينه وأبي عبيدة جيلان هما مَرَّة : أبو العباس عن موسى ابن عبد الله[١٥] ومرة أخرى « قال الجمحي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء »[١٦] . وأبو عبيدة توفي سنة ٢٠٩ هـ أو حول هذا التاريخ ومثل هذا بينه وبين الأصمعي « حدثنا ابن المقنع عن أبيه عن الأصمعي »[١٧] والأصمعي توفي حَوْلَ سنة ٢١٦ هـ .

---

١٣ - مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد السابع سنة ١٩٦٠ وقد شكك الهامش المثبت في كتاب بروكلمان بهذا الرأي مرجحا بأنها من الزيادات .

١٤ - الجمهرة ص ٢٦ ، ٣٦ ، ٥١ ، ٥٣ .

١٥ - الجمهرة ص ٤٠ .

١٦ - الجمهرة ص ٨٣ .

١٧ - الجمهرة ص ٣٩ .

وبين صاحب الجمهرة كذلك وبين محمد بن سلاّم الجُمَحي (ت ٢٣٠ هـ) جيل واحد ، « وأخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب البصري قال : أخبرني محمد ابن سلاّم الجمحي[١٨] وقد توفي الفضل سنة خمس وثلاثمائة بالبصرة[١٩] ، فالسماع بعد سنة ٢٣٠ هـ وقبل سنة ٣٠٥ هـ ، وهذا السماع المتأخر يدفع عصره أماما إلى نهاية القرن الثالث .

وليس هذا سببا كافيا للترجيح ، فهناك ما هو أوثق من هذا كله ، فالرأي أنه من رجال القرن الرابع ولا شك في هذا ، بل انه على أقل تقدير عاش في النصف الثاني منه أو على الأقل ألف كتابه بعد انصرام الثلث الأول منه ، والدليل أنه كان ينقل نقلا حرفيا وبصفحات طويلة عن ابن النَّحّاس المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ، وهذا ما سنقدمه بعد قليل ، لذلك سنجد أن هناك سببا كافيا لأنْ نعتبر إشارته لأبي جعفر بقوله « ووجدت بخط أبي جعفر رحمه الله »[٢٠] بأنه قصد ابن النحاس لا غير ، فهو صاحب النصيب الأوفى من شرحه ، والعبارة كُتبت بعد وفاة ابن النحاس ، أي بعد سنة ٣٣٧ هـ ، فحقٌ علينا أن نعتبر الجمهرة من مؤلفات النصف الثاني من القرن الرابع ، وهنا يمكن أن نستحضر ما ذكره مصطفى جواد عن إشارته لصاحب الصحاح وصاحب ديوان الأدب فستكون أكثر ثباتا أمام المشككين بها .

ويبقى سنده الذي يوحي بأنه من رجال القرن الثالث ، وفيه تساهل كبير ، فإنه من الممكن أن يكون سمع الفضل بن الحباب سنة وفاته ٣٠٥ هـ وترحم على ابن النحاس بعد ثلاثين عاما ، إلا أنه من غير المعقول أن يكون سنده عن المفضل صحيحا . فهذا السند يقول ان المفضل سمع من أبيه فجده فابن اسحاق ، فإذا افترضنا أنّ جدّ المفضل كان سماعه سنة وفاة ابن اسحاق (١٥١ هـ) ، وأبوه سمعه بعد ثلاثين سنة ، والمفضل سمعه بعد ثلاثين سنة من سماع أبيه ، والقرشي سمعه

---

(١٨) الجمهرة : ٦٤ وفي النسخة المطبوعة المفضل بن الحباب وهو خطأ .

(١٩) معجم الادباء : ١٦/ ٢١٤ .

(٢٠) الجمهرة : ص ٨١ .

بعد ثلاثين من سماع المفضل ، فيكون سماعه سنة ٢٤١ هـ ، بينما كان تأليف الكتاب بعد مائة سنة من هذا السماع أو يزيد .

ونأخذ راوية آخر اعتمد عليه القرشي وسمع منه هو محمد بن عثمان[٢١] الذي كان يروي عن مطرف فابن دأب ، يقول « ذكر محمد بن عثمان عن مطرف الكناني عن ابن دأب »[٢٢] ، ابن دأب توفي سنة ١٧١ هـ[٢٣] ، فاذا افترضنا أن مطرفا سمع منه سنة وفاته أي ١٧١ هـ ، وأن محمد بن عثمان سمع الخبر من مطرف بعد ثلاثين سنة أي سنة ٢٠١ هـ ، وأن القرشي سمعه سنة ٢٣١ هـ وَدَوَّنَهُ بعد وفاة ابن النحاس ، أي أن تدوينه جاء بعد مائة سنة ونيف .

وخبر آخــــر :

« وذكر محمد بن عثمان عن علي بن طاهر الهذلي قال : كنت عند عمرو بن عبيد أكتب الحديث وكان ممن حضر المجلس عيسى بن عمر الثقفي »[٢٤] . وقد توفي عمرو بن عبيد سنة أربع وأربعين ومائة أو حول هذه السنة[٢٥] ، وعيسى بن عمر الثقفي توفي سنة تسع وأربعين ومائة ، فإذا طبقنا الحسبة الزمنية نجد أنَّ سماعه حول سنة ٢١٠ هـ وسجله بعد مائة وثلاثين سنة أي وهو ابن المائة والخمسين إذا كان سماعه وهو ابن العشرين .

هذه أمثلة لعدم تطابق الحسبة الزمنية مع ما ذكرناه من قبل من قرائن كتابة هذا النص .

---

(٢١) ذكره في سنده في الصفحات : ٢٩ ، ٣٣ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ١١٠ ، ١١٥ ، وينص على أنه سمع منه أو أخبره .

(٢٢) الجمهرة : ٣٣

(٢٣) ترجمته في معجم الأدباء : ١٦/ ١٥٢ .

(٢٤) الجمهرة : ١١٥ .

(٢٥) وفيات الاعيان : ٣/ ٤٦٢ .

وخلاصة القول في صاحب الجمهرة أنه رجل مجهول ومتساهل في أسانيده ، وروايته غير موثقة بدلالة تضخم القصائد الواردة عنده بأبيات لم يعرها العلماء أي اهتمام ، ويضاف إلى هذا أنه في تعليقاته وشروحه كان يعتمد على غيره من الشراح دون أن نلمس جهده المتميز .

يهمنا أن نشير هنا إلى أننا أسقطنا من اعتبارنا موضعين[٢٦] نقل فيهما نصاً عن الزوزني لاحتمال أن يكونا مما دس على النسخة الخطية وليسا من الأصل ، أو أنَّ الزوزني نقلهما عنه ، وهذا احتمال بعيد وغير معقول لمكانه الزوزني وتميز شخصيته بحيث تنعدم حاجته إلى سطرين عاديين . أو قد يكون هناك أصل واحد لهما ، إلا أننا نرجح الأول .

لهذا كله نجد أنه من الأقرب أن نعتبر صاحب الجمهرة من رجال القرن الرابع والنصف الثاني منه وأوائل الخامس حيث ذكر للمرة الأولى في كتاب ابن رشيق .

وأدق ما نعتمد عليه هذه النقول الحرفية التي نقلها القرشي عن ابن النحاس في ذلك القسم الخاص بشرح أبيات القصائد السبع المعلقات ، ففي هذه النقول تحديد لمصدر مهم من مصادره ، وهي تكشف لنا حقيقة كتاب الجمهرة وتضعه في مكانه الطبيعي ؛ كتاب مؤلفه مجهول يعتمد على ما سجله العلماء ناقلا أقوالهم .

لسنا بحاجة للإكثار من التدليل على النقل الصريح والمباشر عن ابن النحاس في أكثر الأحيان وعن ابن الأنباري في أحيان أخرى مع دمج أو خلط معانيهما أو الاكتفاء بشرح بعض المفردات وإيراد بعض الإشارات المجتزأة من هذين الشرحين ، فإن متابعة نقوله عن هذين الشرحين قد تعني إيراد أكثر شرحه على القصائد السبع ، وهي محل اهتمامنا ، لذلك سنكتفي بإيراد مَثَل أو مثلين من نقل صاحب الجمهرة عن ابن النحاس نقلاً حرفياً وبعدها نشير إلى أرقام الأبيات التي يصدق عليها النقل الحرفي . ويتبع هذا أمثلة من شرحه الملفق أو المختصر أو

(٢٦) الجمهرة : ٣٤٢ - ٣٤٤ ، وشرح البيتين ٢٣ ، ٣٥ من قصيدة عمرو بن كلثوم .

المجتزأ ، مع إشارة مماثلة لأرقام عدد من الأبيات تمثلت فيها هذه الظاهرة . ونعتقد أنّ هذه الطريقة كافية في إبراز ما نريده وبعد ذلك فكل هذه الكتب مطبوعة يمكن الرجوع اليها والمقارنة بينها .

١ ـ نماذج للنقل الحرفيّ :

أ ـ امرؤ القيس :

ومـا ذَرَفَـتْ عينـاكِ إلاَّ لِتَضْرِبي بِسَـهْمَيْكِ في أَعشـارِ قلْـبٍ مُقَتَّلِ

الجمهرة :

« ومعنى ذرفت : دمعت . ومعنى مقتّل : مذلّل منقاد . ومعنى قوله : إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل ، أي لتجرحي قلبا معشراً ، أي مكسراً ، من قولهم بُرْمة أَعْشَار إذا انكسرت ثم جبرت . وفيهِ قول آخر ، وهو أن يكون شبه عينيها بِقِدْحين من سهام الجزور . وذلك أنَّ اليسر ، وهو المقامر لا يفوز إلا بقدحين فكأَنه أراد : أنك إذا دمعت عيناك ساءني ذلك فرجعت إلى ما تريدين ، فصرت بمنزلته »(٢٧) .

شرح ابن النحاس :

ومـا ذَرَفَـتْ عينـاكِ الاَّ لتَضْرِبي بِسَـهْمَيْكِ في أعشـارِ قَلْـبٍ مقتَّلِ

« وما ذرفت : دمعت ، ومعنى مقتّل : مذلل منقاد على التشبيه ، ومعنى قوله لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل : إلا لتجرحي قلباً معشراً ، أي مكسراً من قوله : برمة أعشار إذا تكسرت ثم جبرت ، وفيه قول آخر : وهو أن يكون شبه عينيها بقدحين من سهام الجزور ، وذلك أن اليسر هو المقامر ، لا يفوز إلا بقدحين ، فكأنه أراد : أنك إذا دمعت عيناك ساءني ذلك فرجعت إلى ما تريدين ، فصرت بمنزلة من فاز بقدحين »(٢٨) .

(٢٧) الجمهرة : ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٢٨) شرح القصائد التسع المشهورات : ١/١٢٨ ـ ١٢٩ .

ونسجل هنا في ختام هذا المثال أن صاحب الجمهرة ، مع أن النقل كان حرفيا فإنه أسقط تعليق ابن النحاس في قوله « مذلل منقاد على التشبيه » ، وقطع كذلك عبارته في ختام الشرح « فصرت بمنزلة من فاز بقدحين » وهو كما نلاحظ اجتزاء قبيح وقد يكون سقط من النسخة الخطية .

ب - زهير :

جَعَلْنَ القَنَـانَ عَنْ يمينٍ وَحَزْنَهُ   وكَمْ بالقَنَـانِ مِنْ مُحِـلٍّ ومُحْرِمِ

الجمهرة :

« القَنَان : جبل لبني أسد . والحَزْن : ما غلظ من الأرض . والمُحِلّ : الذي ليست له ذمة ولا حرمة . والمُحْرِم : الذي له حرمة تمنع منه . هذا قول أكثر أهل اللغة . وحكي عن أبي العباس محمد بن يزيد أنّ المُحل والمحرم ها هنا الداخلان في الأشهر الحرم وفي الأشهر التي ليست بحرم ، يقال : أحرم إذا دخل في الشهر الحرام ، وأحلّ إذا خرج منه . وقد أحلّ إحرامه يحل حلاً فهو حلال . ولا يقال حالّ . وقد أحرم بالحج يحرم إحراماً فهو محرم وحرام . »[٢٩] .

شرح ابن النحاس :

جَعَلْنَ القَنَـانَ عَنْ يمين وحَزْنَهُ   وَكَمْ بالقَنَـانِ مِنْ مُحِـلٍّ ومُحْرِمِ

« القنان جبل لبني أسد ، والحزن : ما غلظ من الأرض ، والمحل : الذي ليس له ذمة تمنع ، يقال أحل إذا لم تكن له ذمة ولا حرمة . والمحرم الذي له حرمة تمنع عنه . هذا قول أكثر أهل اللغة ، وحكي : عن أبي العباس محمد بن يزيد أن المحل والمحرم ها هنا الداخلان في الأشهر الحرم ، وفي الأشهر التي ليست بحرم يقال أحرم إذا دخل في الشهر الحرام ، وأحلّ إذا خرج منه ، وقد حلّ من إحرامه يَحِلُّ حِلاًّ فهو حَلال ولا يقال حالٌّ ، وقد أحرم بالحج يُحْرم إحراماً فهو مُحْرِم وحَرَام »[٣٠] .

---

(٢٩) جمهرة أشعار العرب : ١٨٤ .

(٣٠) شرح القصائد التسع المشهورات : ١/ ٣٠٩ .

* هذان مثالان فقط للمقارنة السريعة وهما كافيان للدلالة على نقوله الصريحة والمباشرة . وإليك أرقام الأبيات[٣١] التي نقل عنها نقلاً مباشراً بالكلمات والعبارات دون زيادة ، وإنْ أنقص واختار في أحيان قليلة . وإذا أضاف فغالباً ما تكون إضافته كلمة بسيطة المعنى أو سطراً غالبا ما يكون من المقولات العامة او ينقل من مصدر آخر مثل ابن الانباري .

امرؤ القيس : ١٨ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٦ .

زهير : ٢ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

عمرو بن كلثوم : ١ ، ٢ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

طرفة بن العبد : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٤ .

عنترة : ٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٥٥ .

٢ ـ نماذج للنقل بتصرف :

أما النوع الثاني من نقوله فهو الذي يتصرف به اختصاراً أو تقديماً وتأخيراً مع إدخال بعض المعلومات الأخرى العامة والشائعة . وغالبا تكون مما أورده ابن الأنباري بالذات . ولكنه يميل إلى ألفاظ وعبارات ابن النحاس إلا في النادر على نحو مما ترى في هذين المثالين :

(٣١) الارقام التي سنثبتها هي أرقام الجمهرة .

أ ـ البيت :

بمشارقِ الجَبَلَيْنِ أوْ بمحَجَّرٍ فتضَمَّنَتْها فرْدَةٌ فرخامُها

الجمهرة :

« الجبلان : جبلا طيء ، وهما سلمى وأجأ . ومحجر : فيه لغتان ، بكسر الجيم وفتحها ، وهو واد ببلاد الدواسر . وفردة : قريب من محجر ، وهي أكمة . ورخامها : جبل قريب من ذلك . وتضمنتها : أي نزلت بها »(٣٢) .

ابن النحاس :

« الجبلان : جبلا طيء وهما : سلمى وأجأ . قال أبو الحسن : بمحجر بالكسر اسم موضع ، قال وروى عن الأصمعي أنه كان بفتح الجيم . فردة اسم موضع ورخامها : موضع حواليها . قال ابن السكيت : هو موضع غليظ كثير الشجر »(٣٣) .

فهذا النص التزم فيه صاحب الجمهرة بما جاء في نص ابن النحاس مع حذف بعض الكلمات ، وقد وضعت خطوطا تحت الكلمات والعبارات التي نقلها صاحب الجمهرة لتعيينها . ونلاحظ هنا أنه التزم بنفس الألفاظ وأحياناً يُجري بعض التغيير البسيط أو يحذف الأسانيد . وقد أضاف أنّ محجراً واد ببلاد الدواسر ، وهذا غير موجود في نسخة ابن النحاس التي بين أيدينا ، وأضاف كذلك شرح كلمة تضمنت بمعنى « نزلت » وهي عند ابن الانباري(٣٤) .

ب ـ البيت :

تَرى الَّلحِزَ الشَّحيحَ إذا أُمِرَّتْ عَلَيه لمالِهِ فيها مُهِينا

---

(٣٢) جمهرة أشعار العرب : ٢٩٧ .

(٣٣) شرح القصائد التسع المشهورات : ١/ ٣٧٧ .

(٣٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ٥٣٥ .

الجمهرة :

« اللَّحِزُ : الضيق الخُلُق . ويقال : هي من الأشياء التي تجمع كثيراً من الشرور مثل الهلباجة ، والهلباجة : الأحمق السيء الخلق . والشحيح : البخيل ، وقوله : إذا أُمرّت ، أي أُديرتْ عليه.أهان ماله ، أي سَخي . يقال فلان مُهِينٌ لماله : إذا كان سخياً »(٣٥) .

ابن النحاس :

« اللحز : الضيق الخلق ، ويقال : هو من الأشياء التي تجمع كثيراً من الشرور مثل الهلباجة ، وروى بعض أهل اللغة أنه قيل لأعرابي ما الهلباجة ؟ فقال السيء الخلق . ثم قال : والأحمق ، ثم قال هو الطياش ، ثم قال بيديه احمل عليه من الشرور ما شئت . والشحيح : واحد وقيل انَّ الشحيح أشدُّ من البخيل ، يقال : جَوْزَةٌ شحيحة إذا كانت صلبة . وقوله : إذا أُمرّت عليه أي أديرت . والمعنى : ان الخمر إذا كثر دورانها عليه أهان ماله أي تسخّى يقال : فلان مهين ماله إذا كان سخياً ، وفلان يُعِزُّ ماله إذا كان بخيلاً(٣٦) .

إن هذين المثالين السابقين يبينان طريقته في التصرف والاختصار دون أن يغادر حرفية النص الذي ينقل عنه ، وسندرج في السطور التالية أرقام الأبيات التي سار بها على النهج وهي أرقام الجمهرة أيضاً .

امرؤ القيس :

٥ ، ٨ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

زهير بن أبي سلمى :

١ ، ٣ ، ٤ ، ١٥ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ،

(٣٥) جمهرة أشعار العرب : ٣٣٧

(٣٦) شرح القصائد التسع المشهورات : ٢/٦١٦-٦١٧

٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٥ .

طرفة بن العبد :

١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ .

عنترة :

٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١٠٢ .

لبيد :

٢ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ .

عمرو بن كلثوم :

٥ ، ٨ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٤ .

* * *

ولم يكن ابن النحاس مصدره الوحيد فنحن نستطيع القول بأنه اعتمد كذلك على ابن الأنباري موفقا بينه وبين ابن النحاس في بعض الاحيان . ولكن النقول عن ابن الأنباري لم تكن واضحة وضوح نقوله عن الأول ، ولكننا نستطيع الإشارة إلى بعض النماذج التي تطابقت فيها المعاني والألفاظ بحيث يمكن أن نقول إنه

كان يطلع علي نسخة ابن الانباري من شرح القصائد السبع الطوال ، فمثلا في شرح بيت لبيد :

بلْ ما تَذَكَّرُ مِنْ نَوارَ وقد نأتْ وتقطَّعتْ أسبابُها ورِمَامُها

يقول في شرحه « الرمام : الحبال الصغار ، واحدة رُمَّة ، مثل حمام وحُمَّة ، وبها سُمي ذو الرمة ، من وجهين : قيل كان يعلق رمة ، أي حبلا ، وهو صغير ، كما تفعل الأعراب .

وقيل لقوله يصف الوتد :

أشعثَ باقي رُمَّة التَّقْليد نَعَمْ فأنتَ اليومَ كالعمود

والأسباب : الحبال ، واحدها سبب »[37] .

وللمقارنة نجتزيء هذه السطور من شرح ابن الأنباري المطول : (الرمام : الحبال الضعاف ، واحدتها رمة . قال : وسمي ذو الرمة ذا الرمة ببيت قاله وذكر الوتد :

أشعث باقي رمة التقليد .

والرمة جمعها رمم ورمام . [38] .

ومن الأبيات التي نعتقد أنه اجتزأ واختار منها سطوراً من ابن الانباري مع التوفيق بينه وبين ابن النحاس نشير إلى أرقام الأبيات التالية :

من قصيدة لبيد : ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ .

---

(٣٧) جمهرة أشعار العرب : ٢٩٦ ، الديوان : ١/ ٣٣٠ وروايته « نعم فأنت اليوم كالمعمود »

(٣٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ٥٣٣ .

ومن قصيدة طرفة : الأبيات : ٤ ، ٦ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦ .

بجانب إشارات بسيطة يصعب ويطول استقصاؤها ويمكن اعتبارها من المقولات العامة . ولا تعني هذه الصفحات وحدها التي اعتمد فيها صاحب الجمهرة على هذين المرجعين فقد أهملنا الملاحظات والمقولات العامة التي يمكن أن ننسبها أيضاً لابن النحاس و ابن الأنباري ، وتلك الملاحظات لا تعني ابداعاً خاصاً أو اجتهاداً يمكن أن ينسب له .

ولم يهتم صاحب الجمهرة بالتفصيلات الدقيقة في تعليقاته على النصوص ، فهو يعني فقط بما يسهل ويوضح معنى النص العام ، وهو اهتمام بالألفاظ الصعبة ومسميات البيئة ، ونجده يسرف أحياناً فينقل سطوراً كاملة وكثيرة وفي حين آخر يكتفي بكلمة توضيحية بينما نجده في مواضع عدة يورد النصّ خالياً من أي تعليق أو تعقيب أو شرح .

ويسعى إلى أن يجعل شرحه متوازناً بحيث يتم فيه المعنى أو اللفظ المشروح عنده ، ولكنه في بعض الأحيان يختل التوازن عنده فيكون اختياره ناقصاً أو أنَّ شرح الجزئية التي اقتطعها لم يكتمل بعدُ عند الأصل فيختل الكلام عنده . ومثالنا البيت رقم (٤٠) عنده من قصيدة زهير ، فهو ينقل الشرح ويقطعه دون أن يتم التحليل الصرفي. فابن النحاس يقول : « وقوله « وإلاَّ يُبْدَ يظلم » . (**الأصل فيه الهمز ، من بدأ يبدأ إلا أنه لما اضطر أبدل من الهمز ألفاً** ، ثم حذف الألف للجزم وهذا من أقبح الضرورات)[٣٩] . وقد نقل صاحب الجمهرة ما وضع تحته خط .

ومثله أيضاً حين تحدث عن بيت زهير :

رَعَواظِمْأهم حتَّى إذا تمَّ أوردوا غماراً تَفَرَّىٰ بالسِّلاح وبالدَّم

(٣٩) شرح القصائد التسع المشهورات : ٣٤١/١

يقول ابن النحاس « وتفرى تفتح وتكشف والأصل فيه تَتَفَرَّىٰ ، وليس بفعل ماضٍ.ولو كان ماضياً لقال : تفرت ، وقال الله عز وجل « فأنذرتكم ناراً تَلَظَّىٰ »[٤٠] أي تتلظَّى »[٤١] .

فقد نقل ما تحته خط وهو بتر قبل أنْ يكمل الأصل التحليل اللغوي[٤٢] .

ومن البتر القبيح ما نلاحظه في سياق البيت رقم (٥٥) من نفس القصيدة :

ومـن هاب أسبابَ المنـايا يَنَلْنه ... ولـو رام أسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ

ويقول صاحب الجمهرة « . . ونظير هذا قوله عز وجل : قل إنَّ الموتَ الذي تفرون منه فإنهُ ملاقيكم »[٤٣] . والموت يلاقي مَنْ فَرَّ منه ومن لم يَفِرَّ منه . ويقال كيف خوطبوا بهذا »[٤٤] . فهذه عبارة مقطوعة جاءت عند ابن النحاس كاملة حيث اضاف قائلا : (وأنت إذا قلت « الذي يجيئك فأكرمه » فإنما يقع الإكرام من أجل المجيء ، فالجواب عن هذا إنما عنى مَنْ يفر لئلا يلاقيه الموت . .)[٤٥] .

ومثل هذا ما جاء في شرح بيت عمرو بن كلثوم :

ألا هُـبِّـي بصَـحْنِـكِ فاصبحينـا ... ولا تُبْقِـي خُمـور الأنْدَرينـا

يقول صاحب الجمهرة ، في إعراب كلمة الأندرين ، نقلا عن ابن النحاس ؛ « وفيه لغتان ، فمنهم من يجعله بالواو في موضع الرفع ، وفي موضع النصب بالياء »[٤٦] حسناً فأين اللغة الأخرى ، لقد نسي أن يدرجها لعدم وضوح كلام ابن النحاس الذي قال بعد سطر« ومنهم من يجعل الإعراب في النون ، ويجعل ما قبلها ياء على

(٤٠) سورة الليل آية ١٤ .
(٤١) شرح القصائد التسع المشهورات : ١/ ٣٣٥ .
(٤٢) الجمهرة : ٢٠١
(٤٣) سورة الجمعة آية ٨
(٤٤) الجمهرة : ٢٠٧
(٤٥) شرح القصائد التسع المشهورات : ١/ ٣٤٨
(٤٦) الجمهرة : ٣٣٥

كل حال »[٤٧] . ومثل هذا البيت رقم (٦٧) من قصيدة طرفة[٤٨] .

وفي قصيدة عنترة في شرحه للبيت الثالث يورد شرحاً لهذا البيت ثم يقول « وقال غيره »[٤٩] ، دون أن نعرف من هو صاحب القول الأول ، وهو عند ابن النحاس سماع عن ابن اسحاق[٥٠] فقد أهمل صاحب الجمهرة السند ونسي أنْ يرفع كلمة « غيره » فأبهمت عبارته . ومثله أيضاً من قصيدة عنترة البيت :

ولقد شربتُ من المُدامَةِ بعدما ... رَكَدَ الهَوَاجِرُ بالمَشُوفِ المعْلَمِ

يورد كلاماً طويلاً يقول « والمشوف : الدينار والدرهم . وقال غيره : هو البعير المهنوء »[٥١] والنص عند ابن النحاس « قال الأصمعي : المشوف : الدينار والدرهم . وقال غيره : هو البعير المهنوء»[٥٢] . وواضح الفرق بين النصين ، فالأصمعي هو صاحب الرأي الأول ومن ثَمَّ يأتي كلام غيره .

* * *

هذه ملاحظات عامة على هذا الشرح بعد أن بينا عصره ومصادره بالنسبة لشرح القصائد السبع ، ولا نعتقد أن محاولاته في الشرح بالنسبة للقصائد الأخرى تخرج عن هذا المنهج الذي بيناه ، خاصة وأننا نلاحظ عليه أنه أحياناً يورد قصائد طويلة دون أن يكلف نفسه عناء التوضيح أو التفسير ، وأحياناً تكون تعليقاته نزراً يسيراً مما يوحي لنا أنه إذا عثر على شرح للقصيدة المعروضة نقل له ما يتيسر وإلا اكتفى بإيرادها كما هي ولعله وجد عند شراح الدواوين معيناً لا ينضب .

(٤٧) شرح القصائد التسع المشهورات : ٦١٤

(٤٨) الجمهرة : ٤٠٤ ويقارن بشرح القصائد التسع : ٢٦٨ .

(٤٩) الجمهرة : ٤٣١

(٥٠) شرح القصائد التسع : ١/ ٤٥٤ .

(٥١) الجمهرة : ٤٥٠

(٥٢) شرح القصائد التسع : ٤٩٦

وفي ختام القول في صاحب الجمهرة ، بعد ان نال شطراً من حديثنا ، نجد أنه من الواجب الإشارة إلى جهده المتميز في الجمع والتبويب ، وأن مختاراته الشعرية من عيون الشعر العربي في جاهليته وإسلامه ، تلقاها القرشي عن أستاذه المفضَّل وجمعها في هذه المجموعة ميسراً لنا نماذج طيبة من هذه القصائد الجميلة ، فنحن نحمد له ذوقه في الاختيار والتبويب الجيد فهو وإنْ افتقد صفة الشارح المتميز فقد احتفظ بلقب صاحب المختارات ذي الذوق الجميل .